اني احدثت الان فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني ذلك
الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة على
وجهها يعني ان ياتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم اي واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم
فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا
ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد
لمن خالف حكم الله تعالى وخان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران
من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي
متصلة بما قبلها تقديره واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم
يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبله وتقديره
اذكروا يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى
للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة
هذا السؤال التوبيخ لامم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا الا علمك
فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول
انما نفوا العلم عن انفسهم لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه
لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك
ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم
واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى
عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني
فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل
بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة احوالا وزلازل تزول فيها القلوب
عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم
بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام
فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل
لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى علم الله تعالى
وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد
ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سالتنا عنه ليس يخفى
عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس يخفى عليه خافية
وفي علام بناء التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه
قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك قال بعضهم اي اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لماذا
اجبتم وما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ للامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله و[illegible] احتياجا

وافتقارا الى التوبيخ والملامة للنصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم
انما كان طعنهم في انبيائهم التكذيب لهم وطعن هولاء النصارى تعدى الى جلال الله حيث وصفوه بما لا يليق
بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر الله في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه
عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على توبيخ مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد
الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله تعالى عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع
اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل
لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظ واحد والمراد به
الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بتنعمه عليها على مريم
عليها السلام انه تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام
فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني جبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على تشريف
سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح
تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة مقدسة ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة
الطاهرة والنورانية المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حالة
الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصية شريفة ليست لاحد
قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا
ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم
والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة
ال عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة وتجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك
لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيا ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال
الله تعالى ولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في ال عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني
في ذلك الشيء المماثل كهيئة الطير فتكون طيرا باذني وانما كرر قوله باذني تاكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة
الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو
الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق بهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا
قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر
واذ تخرج الموتى يعني من قبورهم احياء باذني تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها في الحقيقة
هو الله لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات
لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني واذكر
نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتهم منك حين ارادوا قتلك اذ جئتهم بالبينات يعني
بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية وذلك ان عيسى عليه السلام لما اتى بهذه
المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء فقال الذين كفروا منهم يعني فقال
الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من
المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما وحي الى ام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1